

أضواء البيان

@ 296 @ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا
لَنُدْبُوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً { ومنه قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي : % (كم من أخ لي ماجد % بوأته بيدي لحدا) .
أي هيأته له ، وأنزلته فيه ، وبوأت له كقوله هنا { وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ {
، وبوأته فيه كقول الشاعر : وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ { ، وبوأته فيه كقول
الشاعر : % (وبوأت في صميم معشرها % وتم في قومها مبوؤها) .
أي نزلت من الكرم في صميم النسب ، وتبوأت له منزلاً كقوله تعالى { وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ
مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا { وتبوأه كقوله {
وَأَوْحَيْنَا لِلَّهِ رِضَىٰ رَبِّكَ وَسُوِّءُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ { . وقوله تعالى {
وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ وَأُوحِيَ إِلَيْهَا بِرِشْقٍ {
وقوله تعالى { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ { . وأصل التبوء . من
المبءة : وهي منزل القوم في كل موضع ، فقوله { بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ
الْبَيْتِ { أي هيأناه له ، وعرفناه إياه ، ليبنيه بأمرنا على قواعده الأصلية المندرسه
، حين أمرنا ببنائه ، كما يهياً المكان لمن يريد النزول فيه . .
والمفسرون يقولون : بوأه له ، وأراه إياه بسبب ريح تسمى الخجوج كنت ما فوق الأساس ،
حتى ظهر الأساس الأول الذي كان مندرساً ، فبناه إبراهيم وإسماعيل عليه . وقيل : أرسل له
مزنة فاستقرت فوقه ، فكان ظلها على قدر مساحة البيت ، فحفرا عن الأساس ، فظهر لهما
فبنايه عليه . وهم يقولون أيضاً : إنه كان مندرساً من زمن طوفان نوح ، وأن محله كان
مريض غنم لرجل من جرهم ، وإِ تعالَى أعلم . .
وغاية ما دل عليه القرآن : أن إِبْ بوأ مكانه لإبراهيم ، فهياً له ، وعرفه إياه ليبنيه
في محله ، وذهبت جماعة من أهل العلم إلى أن أول من بناه إبراهيم ولم يبن قبله . وظاهر
قوله : حين ترك إسماعيل ، وهاجر في مكة { رَبِّ بَوَّأْنَا إِنْ شِئْتَ مِنْ دُرِّ يَسْتَبِي
بِوَادِي غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ { يدل على أنه كان مبنياً ،
واندرس ، كما يدل عليه قوله هنا { مَكَانَ الْبَيْتِ { لأنه يدل على أن له مكاناً
سابقاً ، كان معروفاً . وإِ أعلم . .
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { أَنْ لَّا تُشْرِكُوا بِي شَيْئاً وَطَهَّرْ
بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ { متعلق بمحذوف ، وقد دلت على تقدير المحذوف المذكور آية

البقرة وهي قوله تعالى { وَعَاهِدُوا نَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ } فدلّت آية البقرة المذكورة على أن معنى آية الحج هذه { وَإِذْ يَوَّسُّوْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ } وعهدنا إليه : أي أوصيناه ، أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين ، وزادت آية